الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

مذكرة لنيل شهادة الماستر في فلسفة المنطق والاتجاهات الفلسفية الكبرى

الموسومة بـــ:

إشكالية الابستيمولوجيا في العلوم الإنسانية (غاستون باشلار نموذجا)

من إعـــداد الطالبيـــن:

- موليـــاط جمـــــال
- صايد عبد العزيـــز

تحت إشـــراف الأستـــاذ:

د/ رمضـــاني حسيـــن

اللجنـــة المناقشـــة

د.لكحل فيصل	رئيســا
أ. رمضاني حسين	مشـــرفا ومقـــررا
أ.كرطالي نور الدين	مناقشـــا

الموسم الجامعي: 2016-2017

قال الله عز وجل:

﴿... قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ...﴾

"سورة البقرة الآية: 28"

﴿.. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

"سورة فاطر الآية: 28"

﴿ ... وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا...﴾

"سورة فاطر الآية: 28"

صدق الله العظيم

عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:

﴿ من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ﴾

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيّ.

الإهداء

إلى من قال فى حقهم تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

الآية رقم 22 من سورة الإسراء

إلى التى حملتنى وهنا على وهن و بكت من أجلى فى صمت إلى التى أهدتها الحياة التعب و الحرمان، فأهدتنى الدفئ و الحنان، إلى التى خصها الله بالشرف الرفيع و العز المنيع، إليك يا أغلى شىء فى الوجود، إليك أمى حبيبتى

إلى الذى كابد الشدائد و كان عرق جبينه ينير دربى ودفعنى بكل ثقة على خوض الصعاب،

إليك أبى العزيز حفظك الله. وأطال فى عمرك

إلى أغلى كنز وهبه الله لى أخواتى

إلى جميع الأصدقاء الذين ساعدونى فى إنجاز هذا العمل المتواضع

إلى من جمعتنى بهم لحظة صدق ... و فرقتنى بهم لحظة صدق

أهدى ثمرة جهدى و تعبى.

إلى كل دفعة: 2017/2016

مولياط جمال

مولياط جمال

مقدمة

إن الثورة العلمية في مجال العلوم والتي أحدثها "باشلار" في ميدان فلسفة العلم بأفكاره المحللة لكل المفاهيم والناقضة لحل التيارات السابقة التي عرفها عصره، وهذا التمرد "الباشلاري" على جميع العائلات العلمية والفكرية كانت مرآة عاكسة لواقعه العلمي، إذ كان عصرا حافلا بالثورات العلمية، وبالخصوص لما قارن تقدم العلم بالفلسفة فتلك الديمومة والازدهار الذهبي للعلوم بتخلق وجمود وسكونه من قبل الخطاب الفلسفي الذي ظل وكأنه جامد لا يقوى فهم تلك القفزات التي حدثت في ارض العلم مكتفيا بالتطفل المؤدي لنتائج العلم، لدى انطلق المشروع "الباشلاري" بكل ما أوتي من تكون علمي وفلسفي مزدوج، محاولا إعطاء عصرا للفلسفة . بمفاهيم جديدة كل الجدة ونتلو منها القطيعة الابستيمولوجية، لذا نجد مقابلتنا للمشروع "الباشلاري" تبين جلاء هذه المفاهيم في دراسته لتاريخ العلم تحت إشكالية يمن تمحورها على هذا السياق:

فيما تجسدت النظرة الابستيمية لتطور العلوم الإنسانية على حد سواء وحول تاريخ العلم من عالم الممكن إلى عالم الواقع؟ ما هي الأطر السياقية لتطور العلم؟ هل تاريخ العلم هو تاريخ لمحاولة الخطأ أم تاريخ الانقطاعات والقفزة والنكوص؟ من اجل الإجابة على هذه الإشكاليات قمنا بتمفصل الفكرة إلى فصلين رئيسيين فبسملنا الباب الأول بمفاهيم عامة حول موضوع المذكرة قيد الوضوح والشرح والتفصيل ثم يليه الفصل الأول بحديث عن نظرية المعرفة وتطور العلوم الإنسانية وكان الحديث في الفصل الثاني إلى النظرة الابستيمية لتطور العلوم الإنسانية "غاستون باشلار" معرجا على المفاهيم التي لها صلة قرابة بهذا الموضوع، ولقد كان النهج الذي انتهجتاه في مذكرتنا نهجا تحليليا

يقوم على تفكيك الأطروحات بغية توضيحها، واستعرت بهذا المنهج لأنه كان الأليق لمثل هذه الدراسة، فقد اعترضتنا بعض الصعوبات في هذا الموضوع كقلة المراجع المكتبية، التي تمدنا بالكثير من أجل تغطية هذا الموضوع بعمق، رغم أن هذا الموضوع ليس بندرة في السوق الفكرية العربية، والتي لا يحتل فيها الموضوع مكانة هامشية وبالرغم ما هو المصاعب فقد بذلنا قصارى جهدنا من أجل توضيح أطروحتين:

أطروحة "غاستون باشلار الابتيمولوجية"، وأهم الإشكاليات التي عالجتها الابستسمولوجية في العلوم الإنسانية كي لا تحمل مذكرتنا ما لا تطيقه فهذا الموضوع يستغرق المئات من المقالات في هذا المجال، إذ لا يمكن اختزال الإشكالية الابستيمولوجية في العلوم الإنسانية في بضع صفحات ومن يحاول صنع ذلك فإن شأنه شأن من أراد أن يستجمع مياه البحر في قارورة، وهنا تظهر أهمية الموضوع الذي ينتمي إلى جنس فلسفة العلم موضة عصرنا ولا ننكر أن هناك حبلا يربطنا بهذا الموضوع الذي جعلنا نصطفيه كعنوان لمذكرتنا لشساعة وصحة الكلام فيه فقد انتخبه في الدرجة الأولى بدون تردد مع العلم أنه موضوع يزداد تقدما وقيمة، نتيجة لتلك التطبيقات التي عرفها التنظير"الباشلاري" موزاة مع تطور العلم، كما أن القارئ العربي المتخصص لا يحيط علما بكل المنتوج الذي خلقته نظرية "باشلار" ولقد قيل قديما: "من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر، لدى نسأل الله أن يوفقنا بصواب ويقين ويبعدنا عن الزلل ويمن علينا يحسن القبول إن شاء الله.

الفصل الأول
مدخل مفاهيمي

مفهوم الفلسفة:

قبل أن ندرس علما من العلوم ينبغي أن تعرف موضوعه وغايته ومنهجه المتبع وهذا من شأن الفلسفة، فما هي الفلسفة؟، وما هي مجالاتها ووظيفتها وأهميتها؟.

إن الفلسفة عامة لإصلاح جديد استعمله أوغست كونت للدلالة على المبادئ العامة التي يستند عليها العلم، وقد انتشر هذا المصطلح في فرنسا حتى أطلق عام 1907م على أحد أقسام الإجازة الفلسفية، وهو يتضمن دراسة المسائل الفلسفية التي يثيرها المنطق وعلم الخلاق، وعلم الجمال من دون أن تكون خاصة بعلم دون آخر[1].

ومن هذه المسائل طبيعة معرفة المسائل المتعلقة بالله والروح والعالم والنفس الفردية وعلاقة المادة بالحياة والشعور ومسألة التقدم والفلسفة العامة بهذا المعنى مختلفة عن علم ما بعد الطبيعة.

لقد شاع أن الفلسفة موضوع لا تناوله إلا العقول الخاصة، والحقيقة أن الفلسفة كتفكير ليست بالبعيد عن الإنسان بل إنها شيء مرتبط بالحياة اليومية موضوعها ظواهر الكون ومدرستها العلم وكتبها العقل الإنساني.

وليس ثمة غرض من الفلسفة إلا الفرار من الجعل والوقوف على الحق[2]، وكشف النقاب عن باطل يومه أنه الحق، فهي حكمة لعلم اليقين فمنشأ لفظة فلسفة يشعر بالاعتراف بالجهل عن باطل يومهم أنه الحق، فهي حكمة لعلم

---

[1] بدوي عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية، ط01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص 124.

[2] المرجع نفسه، ص 130.

اليقين فمنشأ لفظة فلسفة يشعر بالاعتراف بالجهل والشوق إلى المعرفة، ويدل اشتقاق لفظتي المأخوذتان من فيلسوف محب للحكمة وليس حكيما، فالحكيم وحده هو الله – وحده لا شريك له –.

أما معنى التفلسف فهو البحث في ماهية الأشياء وأصولها وعلاقتها بعضها البعض، وليس يخلو إنسان من هذا العمل وقتا ما.

فكل إنسان باعتبار بعض لحظات حياته فيلسوفا وستدوم الفلسفة ما دام هناك عقل بشري يفكر ويتأمل ويسعى في هذا الوجود إلى نفي الفلسفة ينفي العقل بكل بساطة.

رغم هذا الاختلاف للمدركات العقلية عند البشر إلا أن التعليم والبحث والدراسة ترفع من شأن هذه المدركات وتنشطها عندما تجد الظروف المواتية لتطبيقات على أرض الواقع، قال سقراط:

"إن الدهشة أول باعث إلى التفلسف وعي حقيقة لا تزال تشد العقل الإنساني لواقعه ووجوده حتى يدرك مساره، وذاته التقدم العلمي الهائل".

ترى الفلسفة التقليدية أن العقل هون الذي يستطيع أن يجيب عن تلك المسائل، مثلا ميتافيزيقا مثلما فعل كانط في كتبه "نقد العقل النظري الخالص"[3].

وإن كان قد اعترف بها بطريق آخر هو العقل العلمي أو القيم الأخلاقية والجمالية في عصرنا هذا باعتبار الميتافيزيقا مفاهيم لا معنى لها والقيم الجمالية لا تعدو أن تكون تعبيرا عن الرغبات، ونجد جوابا آخر هو أن هذه المسائل التي لا يجيب عنها العلم فمثلا هل العالم له وجود مستقل عن معرفتنا به؟ وهل لهذا العالم خالق غير أننا نلجأ في هذا إلى الإيمان الذي يمثل إجابة مقنعة ولكن

[3] د. عمار طالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصبة للنشر، ص 34.

الفلاسفة يرون أن الإيمان يلتجأ إليه الإنسان حيتما يعترف بأنه دون دليل أوبينة تستطيع أن تجيب عن والسعي إلى الإيمان دليل أن المسائل الميتافيزيقية مستعصية عن المعرفة ومعالجتهما بالأدلة والبيانات[4].

ومع هذا فإن المسائل الفلسفية لا يمكن أن تلغى إلا إذا توقف الناس عن التساؤل المثير لهذه المشكلات ولكنهم لا يكتفون عنها، لأنها تلاحق الفكر البشري، وهناك سبب آخر لعدم اختفاء هذه الأسئلة الميتافيزيقي، وهو أن العلوم تفترض أجوبة على بعض الأسئلة، لكن العلماء أنفسهم لا يستطعون أن يجيبوا عنها، فتصبح أجوبة العلم المفترضة بدورها مسائل الميتافزيقيا، مثال على ذلك أن ممارسة التجربة العلمية في الطبيعة تفترض وجود اطراد في الظواهر الطبيعية، فالتجربة التي قام بها مثلا عالم من العلماء بالأمس ليريد تكرارها فإنه يفترض أن الطبيعة لم تتغير وأن التجربة لا تجري على الطريقة نفسها في ذلك اليوم فعموما ندرك أن قوانين الطبيعة لا تختلف عن الوقوع وهذا ما يؤكد العالم، ولكن الميتافيزيقي لا يكتفي بهذا ولا يقتنع به بل يمضي في تحليل العلة والمعلول، والعلاقة بينهما هي القانون.

[4] د.محمد شطوطي، مدخل إلى الفلسفة العامة، دار طليطلة، ص 66.

مفهوم العلم:

العلم من اللفظ اللاتيني scienta**ومن اللفظ الفرنسي**seience

اصطلاحا: العلم بمعناه لعام يعني معرفة وإدراك الشيء على ما هو عليه بوجه خاص يأتي دراسة ذات موضوع محدد وطريقة ثابتة توصل إلى طائفة من المبادئ ينصب على القضايا الكلية والحقائق العمة المستمدة من الوقائع والجزئيات[5].

والعلم هو الإدراك المطلق تصورا كان أو تصديقا يقينيا أو غير يقينيا، وقد يطلق على حصول صورة الشيء في الذهن على الإدراك الكلي للمفهوم كان أو حكما على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع أو على الإدراك الشيء على ماهو عليه، أو إدراك الحقائق وعللها وإدراك المسائل من دليل وحجة، وعلى ملكية الخالصة عن الإدراك تلك المسائل، والعلم مراد للمعرفة، وغلا أنه يتميز عنها بكونه مجموعة من المعارف متصفة بالوحدة والتعميم[6].

فلسفة العلوم:

اصطلاحا: مصطلح يطلق على دراسة مختلف جوانب اعلم من حيث وظائفه وتطوره ومن حيث كونه كمن المعارف وميدانا من النشاط البشري وعن شمة تعتبر مشكلات تطور العلم مكانة محورية بالنسبة فضلا في عن التنافي المعارف العلمية وتبدل النظرات العلمية وغيرها[7].

---

[5]– ابراهيم مصطفى ابراهيم– فلسفة العلوم ، دار الوفاء للنشر والطباعة، القاهرة، ط1، 1999، ص 20.

[6]– فليو اسماء زهيرة، قراءة ففي جهاز المفاهيم عند غاستونباشلار، شهادة ليسانس، مذكرة تخرج كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس 2008/2007، ص 13.

[7]– إبراهيم مصطفى ابراهيم– فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 39.

تعتبر فلسفة العلم هي المورد الجديد للمعرفة وذلك بتزاوج الفلسفة والعلم وقد كان الرابط الأساسي بينما هو التميز الدقيق بين الفلسفة والعلم من حلقة وصل بين الفلسفة والعلم وهذا التميز لم يكتمل في شكله النهائي إلا خلال قرنين أو على الأقل ثلاث قرون من الزمن، وبذلك كانت فلسفة العلم هي ذلك الفرع الجديد في الفلسفة[8].

[8]–جورج طرابلسي، معجم الفلسفة، دار الطليعة شروق، ط3، 2006، ص 127.

تاريخ العلم:

إن التاريخ هو الأب الشرعي للعلوم الإنسانية جميعا، ولكن لم يكن الحديث عن التاريخ العلم كونه عبارة عن نشاط هامشي للهواة من العلماء المحترفين الذين رأوا فيه ما يستهويهم ويجذبهم بصفة شخصية ويعنيهم عن الإجتهاد في كشوفاتهم، أول الكلام توضيح الأصول لمفاهيم عديد وهذه المحاولات الفردية التي كانت تقتصر على فرع واحد محدد من التخصصات كتاريخ الرياضيات وتاريخ الميكانيكيا بينما اهتم "ارنيست ماخ" (1838-1916) بتاريخ الميكانيكيا واهتم " دوهير بيير" (1861-1916) تاريخ الفلك وفي هذه الحركة الكلاسيكية التي استمرت حتى نهايات القرن 19.

إذا بحثنا عن وعي بأهمية عن تاريخ العلم في إطار البحث عن العلم والفلسفة، أو بالأحرى خارج هوامشها فسوف يستوقفها عالم الرياضيات وخطورة الاقتصار على تدريس العلم والعلوم الحديثة، واعتباره الثقافة الشاملة مع الجهل، بماضي العلم، وان تاريخ العلم هو الذي يقوم بتحسير الهوية بين العلوم الإنسانية والدراسات العلمية، لما كان لها من إرهاصات لتاريخ العلم.

ويأتي القرن العشري ومع ظهور الحرب العلمية الثانية لفت الإنتباه إلى خطورة العلم وتأثيره في المنظومة الحضرية، ليكون الاهتمام بتاريخ العلم لفهم سياق الثورات العلمية وهذا بفضل جهود جبارة لرواد ومفكرين وعلى رأسهم "جورج سارتون" G.SARTON (1884-1956) الذي أسس تاريخ اللم في أمريكا إذا رأى في تاريخ العم ضرورة تربوية ثقافية وعلمية في آن واحد يأتي

بعده" غاستونبلاشر" ليساهم في توطيد العلاقة بين تاريخ العلم والأبستمولوجيا[9]، والذي أراد أن تكون الفلسفة استجابة للعلم عصرها ومجاوزة لفلسفة عصره فانطلق من معطيات الفكر العلمي المعاصر محتولا نقد الفلسفات المعاصرة له التي اكتشفت فيها عدم قدرتها على مسايرة ماذا حدث من تطور فالواقع الفلسفي للقرن 20 لا يشمل في الغالب إلا على فلسفات تكرارية تدافع عن المبادئ فلسفية وضعتها مذاهب كبرى وجدت قبل هذا التاريخ.

ضبط مفهوم الابستيمولوجيا

لغة: لفظ مركب من لفظين" ابستمي" وهي العلم الآخر و" لوغوس" تهني النظرية بمعنى الدراسة إذا الابستيمولوجيا تعني بدراسة أو نظرية العلم.

اصطلاحا: تعني الابستيمولوجيا من الناحية الاصطلاحية نظريات العلوم أو الفلسفة العلوم فالابستيمولوجيا دراسة مبادئ العلوم وفروضها ونتائجها دراسة نقدية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي وقيمها الموضوعية، الابستيمولوجيا تختلف عن الدراسة العلم من جهة وعن دراسة تركيب القوانين العليمة من جهة ثانية، لأن الدراسة الأولى قسم من المنطق التنظيمي والدراسة الثانية قسم من الفلسفة الوضعية أو فلسفة التطور، ونحن نفرق بين الابستيمولوجيا ونظرية المعرفة.

وبينما تقوم نظرية المعرفة العلمية على رسائل المعرفة العلمية الحديثة مثل القياس، الإحصاء التجارب، الآلات العلمية المتطورة، نجد ان النظرية العلمية بمعناها التقليدي تعتمد على وسائل تقليدية تقوم على لفكر الذاتي[10].

---

[9] – بدوي عبد الفتاح محمد، فلسفة العلوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د س ط، مرجع سابق، ص 243.

[10] – صليبيا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة، 1982، الدجزء الأول، ص 118.

وفي حين تتصف نظرية المعرفة العلمية " الابستومولوجيا" بالترعة الموضوعية حيث ورد تعريف "لالاند" في معجم فلسفي للابستيمولوجيا أن الابستيمولوجيا هي الدراسة النقدية لمبادئ العلوم ونتائجها بغرض التحيد المنطقي وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية.

مفهوم العاتق:

في الفرنسية: Obstacle

في الإنجليزية: Obstacle

في اللاتينية:Obstaculum

لغة: عائق عاقة يعوقه عوقا عوقة اعاقة، وإعتاقاه اعتياقا عن كذا: صرفه وثبطه، وأخره عن (تعوق) تثبط وتأخر" تعوق فلان" صفه عما أراد وحبسه عنه[11].

اصطلاحا: عاقه من الشيء منعه وشغله عن العوائق الدهر شواغله وإحداثه والعائق في اصطلاحا ما يعوق الفكر أو الإرادة من الشواغل داخلية أو خارجية[12].

ومن هنا فالعائق الابستيمولوجي هو مجموعة الأسباب والعوامل التي ساهمت وتسببت غب عدم العلم ونكوصه وركوده[13].

ضبط مفهوم القطيعة:

[11] – شعبان حسن السيد، برونشيفيكوبشلار، بين الفلسفة والعلم (دراسة نقدية ومقارنة) دار التنوير لطباعة والنشر، بيروت، ط1 1993، ص ص 130-135.

[12] – منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، ط2، سنة 1986، ص 506.

[13]– صليبة جميل، المرجع السابق، المعجم الفلسفي، ص 39.

لغة: قطعَ قطعًا ومنقطعاً وتقطيعاً الشيء أي جزره، أبانه، فصله عن حقه ومنعه[14].

قطع الصلاة: ابطالها ىأي في القول: جزم الطريق عنها.

قطع الصديق، هجره وعاقه.

اصطلاحا: القطيعة الهجران، لا الوظيفة ما يقطع من أرض أي ترك الصلة[15].

العلوم الإنسانية:

هي فلسفة الإنسان، وهي المبادئ العقلية والأفعال والملكات التي لا تتغير بتغير الملل والأديان كعلم المنطق وعلم الكلم وبعض علوم الحكمة كما ذهب إلى ذلك " ابو نصر الفرابي" في كتابه "تحصيل السعادة" والعلوم الإنسانية بالمعني الماصر هي التاريخ وفقه اللغة والاقتصاد الاجتماع والأنثروبولوجيا والقانون زوعلم النفس وعلم الجريمةن ونظرية الإتصال... وغير ذلك مما يستجد من علوم يمن ادراجه ضمنها، وهي ما يعرف بالإنسانيات، وأطلق عليها" ستيوارت مل" اسم العلوم والتصورات، وتعتبره كائنا منخرطا في جماعة تمارس عليه تأثيرات معينة، كما تدرس الواقع الانساني بحوادثه المختلفة للوقوف على ثوابه وتفه اتجاهاته، وبما أن هذا الواقع متعدد ومختلف، فإن العلوم التي تدرسه كثيرة ومتفرعة، فعلم النفس مثلا فروع شتى، كعلم النفس المرضى وعلم النفس الطفل، أو الصناعي أو العسكري... وكذلك علم الاجتماع والقانون والتاريخ، هناك قانون مدني وقانون جنائي وتجاري دولي... وهناك تاريخ الطبيعة وتاريخ العم والفن والدول...

---

[14] – هشام محمد، تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجية عند غاستونباشلار، إفريقيا المشرق، دار البيضاء، ط1، سنة 2006.

[15] – منجد الطلاب، المرجع السابق، ص 565.

فهل هذا التعدد والكثرة عامل ايجابي أم سلبي في بناء نظرية علمية موضوعها الظاهرة الإنسانية؟ هل الأخير، ووفق أي منهج؟ وما علاقة العلوم الإنسانية بالعلوم التجريبية؟

الميتافيزيقا:

أغلب فروع الفلسفة تشترك مع الميتافيزيقا في المسائل المتعلقة بما إذا كانت هناك حقيقة قصوى فيالعالم لأن محور الميتافيزيقا هو البحث عن حقيقة الواقع، وهل هذا الواقع روحية في العالم؟ لأن محور العقل هو وجحوده المتميز المستقل عن البدن، فهل للإنسان القدرة على ممارسة حرية الاختيار؟ وهل العالم في جله له علة أو جدته؟

هذه المشكلات تتصل مباشرة ببعضها البعض مكونة من فروع الفلسفة مثل (فلسفة العقل وفلسفة الدين وفلاسفة الخلاق)، وهكذا عندما يبحث الفيلسوف عن طبيعة الواقع يلزمه أن يفحص عدة مفاهيم مثل مفاهيم الومان، المكان، المظهر، الحقيقة الجوهر، العلية، حرية الإدارة، وكل المعاني التي تبحث في الميتافيزيقا كما تبحث في فلسفة العلوم وفي فلسفة الأخلاق.

ويرى بعض الفلاسفة أن الميتافيزيقا هي الدراسة كل الأجوبة التي وصلت إليها العلوم في حين يرى البعض الآخر أنها تبحث المسائل التي لا تستطيع العلوم الإجابة عنها، أي أنها سمة الميتافيزيقا هي الدراسة كل ما عجز عنه العلم فهي تحاول أن تتجاوز حدود الحدس للإجابة عن ما كان العلم يعجز عنه[16].

ضبط مقهوم الجدل:

[16] – أغوست كونتن فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية 1798–1858، ص ص 32–33.

لغة: جدل جدلا اشتد خصومه وجدالا وجدالا ونقاشه وخصامه وفي القرآن الكريم ﴿**وجدالهم بالتي هي أحسن** ﴾.

اصطلاحا: الجدل في الاصطلاحي المنطقي قياس نؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلمة والغرض منها إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك المقدمات البرهانية فإن كان الجدلي سائلا معترضا كان الغرض من الجدل إلزام الخصم وإسكاته[17].

[17]– القاموس الجديد، معجم عربي الفائي، على بن هادية بلحسن البليش الجيلالي بن الحاج، تقديم محمود المسعودي، الشركة التربوية للتوزيع تونس، المؤسسة الجزائرية الوطنية للكتاب، سنة 1984، ط5، ص ص 1250–1251.

الفصل الثاني

النظرة الابستيمية للعلوم الإنسانية

(غاستون باشلار)

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن حياة الفيلسوف"غاستون باشلار"

أ- بيئة شخصية"غاستونباشلار"

فيلسوف العلم الفرنسي ولد في بارل على نهر الأوب ينتمي إلى عائلة فقيرة كان أبوه اسكافيا، زوال دراسته الثانوية، وبعدها عمل موظفا في البريد حتى سنة 1913 ثم دخل في إدارة البرقيات كمستخدم متقاعد"دمين مونت" 1905[18]

كان الفيلسوف يهتم بدراسته في الليل أكثر، وقد كان يمر كان يمر بليالي كادحة وعزلة وتأمل حصل عام 1915 على جائزة في الرياضيات، بعدها عمل أستاذا في قطاع الثانوية"بارسوب" ودرس في الفيزياء والكمياء، بغد موت زوجته اهتم بتربية ابنته"سوزانن" رغم ذلك تابع تقدمه الجامعي حتى تحصل على شهادة التبرير في الفلسفة عام1955 ثم على الدكتورة في الأدب عام 1950 دخل"باشلار" سنة 1930 الجامعة، وعين أستاذا في كلية الآداب في "ديجون" حتى عام1945 في جامعة السربون مادة فلسفة العلوم حتى عام 1955 حيث أصبح أستاذا فخريا، ثم اشرف على معهد العلوم الأخلاقية و الإنسانية حتى حاز على جائزة القومية في الآداب عام 1971[19].

وأعمال باشلار تدور حول موضوعين أساسين هما نظرية المعرفة العلمية والترعة الشعرية المقترنة والتحليل النفسي وهما موضوعان مترابطان فان كان يكشف عنه التحليل النفسي من إسقاطات على تصورنا للعالم وهو ما

---

[18] مهيبل عمر، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية، دار العربية للعلوم بيرت، ط01/ 2005، ص 70.

[19] فليو أسماء زهيرة، قراءة الجهاز المفاهيمي، شهادة اليسانس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم الفلسفة، جامعة سيدي بلعباس، 2007-2008، ص 64.

يكشف عنه العلم عن طريق مجهود دؤوب، وفي اتجاه مضاد لان النظريات العلمية تدمير للنظريات أو القصائد الشعرية.

ويدعو"باشلار"الدياليكتيك سلبي" DIALICTIQUE" والسلب هو في أساسه حركة بناء المعرفة غير أن بيان التقابل الوهمي للتصورات يميل إلى المترعات أي الأزمات المنتجة للعلم أي أن العلم يضع قضايا تخضع للتعديل المستمر وإذا كان الحاكم يستأنف أحلامه من الغريزة فإن العلم يستأنف أبحاثه العميقة في الظاهر[20].

ومصير العقل هو الناتج الغير الإنساني للعمل النظري لبناء الفكر حيث ينتج مقولاته خلال ممارسته لما هو تجريبي ولعلم خاص بحالة خاصة من ذلك الإنتاج الفكري لان المقولة العليا في هذا الناتج هي الحق فالتجربة والصيغة الرياضية كلتاهما يكمل الأخرى ذلك أن الرياضيات ليست مجرد وسيلة للتعبير عن القوانين الفيزيائية التجريبية بل هي متوافقة معها.

وفائدة تاريخ العلم هي أن يبين كيف أن ما نعده اليوم نظرية علمية صحيحة قد مر بالعديد من النظريات التي تبث خطواتها في المرحلة التالية ومعنى هذا أيضا أن ندرك أن نظرية الغد ستكون صحيحة في نظر أصحابها لأنها قضت على نظرية اليوم[21].

[20] فليو أسماء زهيرة، المرجع السابق، ص 137.

[21] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

ب- مؤلفاته:

1-لهب شمعة 1961: يجلو لنا هذا الكتاب ليالي الدراسة والتعب والشقاء التي عاشها المؤلف خلال التفكير الفلسفي.

2- تكوين الروح العلمي: مساهمة فيا لتحليل التفسير للمعرفة الموضوعية.

3- التحليل النفسي للنار.

4- الايجابية العقلانية في الطبيعيات المعاصرة 195.

5- العقلانية التطبيقية.

6- فلسفة إلا"LA PHILOSOPHIE DU NOM"

7- المادة العقلية 1953.

وإذا نظرنا أن التطور البشلاري لتاريخ العلم لم يأتي من عدم، وإذا كان متحابا مع ظرفية الزمانية لانفصال الطرح البشلاري عنها فتحايث المشروع البشلاري عن المناخ العلمي الذي كان سائدا والتيارات الفلسفية و عاين الثورات العلمية التي حققت قفزات نموذجية في الفيزياء مثلا فوضت النظرية الكلاسيكية التي تقوم على انفصال الزمان والمكان بالنظرية النسبية التي أصدرها انشتاين1905 التي تقر بان الزمن بعد رابع إلى الأبعاد الهندسية للشكل فأحدثت الهندسات إلا اقليدية قطيعة مع الهندسات الاقليدية، كما أن النقاشات الفلسفية التي كانت موجودة في البيئة الفرنسية هيمنة عن التطور المثالي كما فرض"غاستون باشلارطرح هيسرون" للمعرفة إذ رفض القول بالمطلق إلى

القول النسبية وعارض نظرية الاستمرار و أن التاريخ هو تاريخ الانقطاعات و الجدل[22].

وعلى حد تعبير "باشلار" يجب تجاوز الفلسفات التقليدية فقد درس"باشلار" في الربع الاول من القرن العشرين حقبة الثورات العلمية التي ظهرت الواحدة منها تلوى الأخرى وتغذي الفكر البشلاري منها مما اعطي له تكوين علمي فلسفي مزدوجة فالفلسفة البشلارية تدور حول ما أنتجه العلوم المعاصرة من مفاهيم جديدة متأملا في الثروات التي هزت العلم الكلاسيكي.

وقد لاحظ باشلار من خلال تحليلاته أن هناك هزة كبيرة بين العلم المعاصر وبعض الفلسفات التي عاصرته فعملت على إزالة تلك الهوة، و حصلت الفلسفة الوضعية بالفلسفة المثالية حيث وقف باشلار موقف الوسط بين هاتين الفلسفتين ورأى أن هناك حمولة إيديولوجية كالتحول دون الوصول إلى المعرفة الموضوعية فعمل"باشلار" على مناقشتها وبالتالي تجاوزها فتاريخ الفلسفة عند"باشلار" هو تاريخ الصراع بين الذات والموضوع أي بين المثالية والمادية وما يرفضه"باشلار" من النظرية التقليدية فطريقة تفسيرها هي تطور الفكر الإنساني أي نظرة تجعلنا لا نخرج عن دائرة الفلسفات التقليدية التي حاولت الفلسفة الباشلارية تجاوزها[23].

إلا فكرة الاستمرار التي تبرز من خلال قانون الحالات الثلاث فالفكر الإنساني عند"باشلار" شاهد نوعا من الانقطاعات غير أن القطيعة الإبستيمولوجية بين فكر ما كان وفكر ما ما هو كائن وعلى كل

---

[22] قصتة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وأراء رجال الفلسفة في العالم تأليف ويل ديورانت، تر: د. فتح الله محمد بن شعشع، ط02، 1972، مكتبة المعارف، بيروت، ص 31-32.

[23] فليو أسماء زهيرة، المرجع السابق، ص 35-36.

فنظريات"باشبلر" لفلسفات"الوضعية" والعقلية والروحانية نظرة نقدية فعملت الإبستيمولوجيةالباشلارية على حل هذه الأزمة بإعطاء صورة حقيقية لكل من العلم والفلسفة[24].

[24] هشام محمد، تكوين مفهوم الممارسة البستيمولوجية، المرجع السابق، ص 200.

المبحث الثاني: العائق الإبستيمولوجي بالمنظور الباشلاري

هنا تنقلنا الابستيمولوجيا الباشلارية إلى مستوى آخر في تكوين نظرياتها حول تاريخ العلوم إلى مستوى مفهوم"العائق الإبستيمولوجي" والحقيقة انه إذا كان باشلار قد أكد غير ما مر وفي غير ما وضع في كتاباته على إن الاهتمام بالخطأ في الدراسة الممارسة العلمية بل في تاريخ تكونها وتطورها أفيد بالكثير بالنسبة للابستيمولوجية من الاقتصار على إبراز النتائج والحقائق فانه بإنتاجه لمفهوم العائق إنما قد خطى خطوة حاسمة ولكن أيضا على صعيد إدراك الصيرورة التاريخية الملموسة لتكوين المعرفة وسياقات تحولها الفعلي ضمن إيقاع انفصالي جذري يقول"باشلار" عندما نبحث في الشروط النفسية لتقدم العلم فإننا نصل حينا ألي هذا الاقتناع وهو أن ينبغي طرح مشكلة المعرفة العلمية بصيغة العوائق غير أن الأمر لا يتعلق باعتبار عوائق خارجية كتعقد الظواهر وزوالها ولا في ضعف الفكر الإنساني بل في الفعل ذاته للمعرفة تظهر بكيفية صميمة وبنوع من الضرورة الوظيفية تباطئات و اضطرابات مما يبين أسباب الركود والتراجع ونستكشف عن أسبابها وعن العوائق الابستمولوجية[25].

فما هو العائق الابستمولوجي في نظر باشلار ومتى يظهر في العلم؟

يجيب باشلار بان العائق الأبستمولوجي يوجد في صميم عملية المعرفة بذاتها أنه ليس نتيجة لشروط خارجية لعملية المعرفة ولا الحواس والفكر كوسيلة ذاتية عند الإنسان فأن العوائق الأبستمولوجية تبرز في الشروط النفسية لمعرفة تبعا للضرورة الوظيفية بمجرد ما تقوم علاقة الذات والموضوع فالمعرفة العلمية هي التي تنتج بذاتها عوائق ابستمولوجية ولاج لان نمكن أنفسنا

[25] هشام محمد، تكوين مفهوم الممارسة البستيمولوجية، المرجع السابق، ص 200.

من ضم الهدف البشلاري من وضعه لهذا التصور ولأجل التمكن من البحث في مدى إجرائيته فإننا سنقدم عرضا عن أهم صور التي يقدمها باشلار للعوائق الابستمولوجية يقول بشلار أن العائق الأول في تكوين الفكر العلمي التجربة القائمة قبل ما وفق النقد الذي بالضرورة عنصر مدمج للفكر العلم.

ومن هنا يبين لنا بشلار الصورة للعائق الابستمولوجي والتي تتجلى فيما يعرف بالتجربة الاولى.

إن باشلار لا يشك في الدور الايجابي الذي تلعبه في عملية المعرفة ولكنه يرى أن الوقوف عند التجربة الأولى المتمثلة في الاتصال الأول بالموضوع تشكل عائقا معرفيا للموضوعية فكل معرفة نأتي في نظر صاحب كاتب الفكر العلمي الجديد عن التجربة و تجاوزها تعتمد المعرفة العلمية حتى التجارب الأولى لا لكي تصل مباشرة إلى المعرفة بل لكي تعمل على عقلنتها أي وضعها في صورة عقلية يحددها الوضع إلى المعرفة العلمية بل لكي تعتمد على الوضع أي وضع المشكل فالموقف الأبستمولوجي السليم في نظر باشلار هو الذي يتجاوز تاريخ الخطأ و المعرفة العلمية الموضوعية تكون ضد التجربة الأولى و تجاوز الكل ما يعرف بالعقلنة و المثال البسيط الذي يمكن أن نقدمه عن التجربة الأولى فالعائق الابستيمولوجي هو كالآتي مثال على هذا حين ننظر لأول وهلة إلى جسم متحرك في الماء توقف عن الحركة يخطر ببالنا أن الجسم هو الذي يقاوم الماء و هذا خطئ تقابله حقيقة تأتي نتيجة لعقلنة التجربة الأولى و هدم المعرفة الناتجة عنه و نقدها فهي الماء الذي يقاوم الجسم فالمعرفة العلمية تأتي من الهدم للمعرفة التي تكون نتيجة للتجربة الأولى لا لاستمرارها فالتجربة الأولى هي المعرفة المباشرة للشيء قائمة على ما تمدنا به الحواس في اتصالها بمعطيات

الطبيعة قبل أي تفكير نقدي إذا فالأخذ بالطبيعة و ظواهرها الخام دون البلورة العقلانية للموضوع العلمي تشكل حاجز تعرفي ابتدائي لا بد من تحطيمه في التصور الباشلاري فيقول باشلار: الفكر العلمي يجب أن يكون ضد الطبيعة ضد ما يمثل فينا وخارجنا اندفاعا و توجيها للطبيعة ضد الانجذاب الطبيعي ضد الواقعة الملونة والمتنوعة.[26]

ومن هنا يوضح لنا باشلار طبيعة التجربة الأولى من خلال قراءة نقدية لمضمون الفكر العلمي في القرن 18م مركزه بالأساس على الوضع الذي كانت توجد عليه الكهرباء قبل أن تأسس كعلم حيث كانت بالمفهوم الطبيعي علما مسليا تعتمد على الملاحظة المباشرة ونتيجة للتسلية دون البحث فيها عن القانون العلمي أي اللاعقلانية التي يحددها الوضع المشكل دون اللجوء إلى بناء عقلي صريح فالمعارف الأولى لا يمكنها أن تكون صحيحة لذا يجب أن تنفصل عن سيرورة الموضوعية التي يتم فيها تكوين علما ما بتحويل بنيات التفكير فالتجربة الأولى تكون خاطئة وكذلك المعرفة الأولى.

ثم يأخذنا إلى العائق الثاني وهو عائق التعميم الذي يوضحه القول بأن كل الأجسام تسقط وهو مثال الذي يستخدم للتمثيل عن كيف يكون الاستدلال استقرائي إلى قانون علمي عام ردا على أرسطو الذي كان يرى لنا بأن كل جسم مكانه الطبيعي الذي يكون فيه بطبعه فالتعميم له دور ديناميكيا في تقدم التفكير العلمي و فهم الظواهر وهذا لان التعميم ينقل الفكر من التبدد الوقائعي إلى وحدة القواعد التي يفسرها غير ان التعميم لا يكون تعميما متسرعا وهذه الحالة التي يكون فيها عائقا ابستمولوجيا فالتعميم استجابة لمنحة عقلية فعلى

[26] هشام محمد، تكوين مفهوم الممارسة البستيمولوجية، المرجع السابق، ص 210.

التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية أن يتمعن كل إغراءات السهولة وبهذا نجد أنفسنا أمام التجريد العلمي.

المبحث الثالث: بين الفكر الفلسفي والفكر العلمي:

ترى الإبستيمولوجية الباشلرية أن هناك قطيعة مع كل تصور للمعرفة العلمية أنها تراكم تاريخي خطي متواصل، للنتائج العلمية، التصور الذي كان يجب تجاوزه للوصول إلى تلك النتائج العلمية حين ينتج مفهوم العائق الإبستسمولوجي فإنما يضع أساسا علميا للوعي التاريخي بما يشكل ما ليس بالعلم فقط اشتغل العائق إذا كحاجز نفسي إذا كحاجز نفسي مما أدى الأهمية في الدراسة التاريخية لضرورة تكوين المعرفة العلمية.

فبين الفكر الفلسفي والعلمي عائق إديولوجيإنه يجب رده فيما نعتقد إلى انعدام الوعي لدى باشلار بتصور تاريخي اختلافي ففي التاريخ يمكن القول بأن الفصل بين العلمي واللاعلمي ليس فصلا نفسيا ولكن الفلسفي يقوم هنا مقام الإديولوجي بمفهوم العوائق الإبستيمولوجية إلا أن هذا التجاوز يتخذ وتفكير باشلار طابع الانفصال التام بين العلم كعلم وبين كل مسابقات الفكر الطبيعية، ويتقدم هذا الانفصال على أنه الحد الفاصل بين نوعين من المعرفة هي المعرفة العامة المشتركة والمعرفة العلمية فباشلار يعتبرها من المصادر الأساسية للتفكير الإبستيمولوجي، ويجب التسليم بالإنفصال الحقيقي بين المعرفة الحسية والمعرفة العامة وقبولها كمسلمة بالنسبة للإبستيمولوجيا.[27]

إن الفكر العلمي المعاصر يفصح دوما أن لا يكون هناك اتصال مباشر مع الحس السليم البسيط ونحن نعتقد بأن التقدم العلمي يفصح عن انفصال بل عن الانفصالات المتجددة بين المعرفة المشتركة والمعرفة العلمية فالعلم المتطور هو علم يعلم فعل هذه انفصالات كلمة ي امتداد مباشرتها تلك هي الأطروحة

[27] هشام محمد، تكوين مفهوم الممارسة البستيمولوجية، المرجع السابق، ص 214-215.

الأساسية في نظرية تاريخ العلوم عند باشلار ويعن لها الطبيعة الابستيمولوجية إذ أنه لا يمكن أن تكون هناك معرفة علمية بأتم معنى الكلمة في امتداد مباشر للحس.

ثم الواقع أن مفهوم الانفصال، يعين ابستيمولوجية باشلار على حظ تسلسي تاريخي يقوم على النقيض المباشر لاتصالية تاريخ الكر ويؤ على هذا النحو لبنية التكير الاستمراري وبين التكير اعلمي والتفكير العامي ومن هذا إن الابستيمولوجية البشلارية قد أرصت دعائمها وممارساتها ضمن توجه إشكالي يتعارض كليا مع الحقل النظري فللتصورات الفلسفية للمعرفة كما رأينا فإن نظرية تاريخ اعلوم فيها إنما تتعين في إطار ذلك التوجه نفسه ففيه تتلاشى إحدى أهم إحدى آليات تلك التصورات هي متماثلة في تشغيل الفكر عن تاريخ الانفصال.

ففالابسستيمولوجية هي العائق من أدنى أشكال المعرفة الحسية إلى أرقى التجريدات الفيزيائية الرياضية فباشلار من وجهة نظر المعرفة العقلانية فإن المعرفة المشتركة والتجربة الحسية المباشر تشكل عائقا معرفيا يجب الانطلاق من الانفصال الحاسم الذي يظهر المعرفة الحسية المشتركة فإن لها وظيفة "مقاومة" فمفهوم الانفصال إذا يفكر هذا التعارض وهو يمنح في ذاته الوقت لنظرية باشلار بطابعها التاريخي الاستمراري[28]

وبهذا الصدد يقول باشلار نعتقد إذا أن الثورات العلمية المعاصرة تسمح لنا أ، نتحدث عن مرحلة رابعة بحيث توافق المراحل الثلاثة الأولى للعصور القديمة والوسطى والحديثة، وهذه الرابعة تماثل الثورات المعاصرة التي تجد

[28] هشام محمد، تكوين مفهوم الممارسة البستيمولوجية، مرجع سبق ذكره، ص ص 216-217.

الانفصال بين المعرة العادية والمعرفة العلمية وبين التجربة العادية والتجربة العلمية فهناك تعارض بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة[29].

لنمتع النظر إلى الأمثلة: إن المعرفة قبل العلمية prescientifique نفعية فالكيمياء مثلا قبل العلمية تبقى مرتبطة بالكونيات وهي تحافظ حق ي الدراسات التخصصية على مبادئ النفع، والغائية المميزة للمعرفة العامية هكذا يتبين لنا أن المعرفة الاختيارية المتصلة بالمعرفة العامية المباشرة هي بدورها مرتبطة باللسان المميزة للمعرفة العامية فمعظم الفلاسفة يبلون بدون نقاش مسلمات حسية بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة، أن كل معرفة للواقع صادرة عن المعرفة الحية فكثيرا ما يعترضنا كون هذه المعررفة العلمية لا تستطيع شرح الإحساس وتفسيره فإنه اعتراض مبطل للمعرفة العلمية فالفكر العلمي الحالي ينفصل في عقل العالم نفسه عن الفكر العام فمن وجهة نظر المعرفة العقلانية أن الفصل بين التجربة احسية المباشرة والمعرفة المشتركة أمر لا يمكن إنكاره فلعل هذا النقد الابستيمولوجي هو الذي يطبع الابستيمولوجي البشرية.

فلهذا لا يمكن استخراج امعرفة من التصورات المعرفية وأن مفهوم الانفصال منظور إليه من زاوية رؤية تاريخية الذي سجل موقفا فكريا بالغ تمييز في فضاء فلسفي معاصر لباشلار فهو يشغل مفهوم الانفصال ليفكر ضرورة القطع امعري لمعرة الحسية المباشرة فالانفصال الابستيمولوجي طابع عام لا لا يمكن إنكار عن كل أنواع المعرفة ففهو ملمة أساسية للتفكير الابستيمولوجي الذي يتعين وع القطيعة التي تشكل العناصر الأساسية لقيام العقلانية العلمية فباشلار يخطو خطوة جريئة للتعرف على هذا التاريخ السابق

[29] شعبان حن السيد، بروتش يك وابشلار بين اللسفة والعلم، (درات نقدية مقارنة)، مرجع سبق ذكره، ص 138.

على تكوين اعلم فالتكوين هو دراسة العوائق الابستيمولوجية وهذا ما نلمسه ي المارة العلمية الفيزيائية لبداية القرن العشرين قطيعة تامة ونهائية مع المعرفة المشتركة فذلك ما نوافق عليه دون أدنى تحفظ[30].

لقد وصلت ابستيمولوجية باشلار إلى تصور جديد عن تاريخ العلوم تشكل انفصالا أساسيا مع ما يمكن أن ندعوه فلسفة تالايخ العلم وهو تصور جعل منذ هذا التاريخ تاريخا لانتسبات المفاهيمية التي تتميز جوهريا بوضع منفصل لا استمراري كما هو الشأن في نظرية "ماندل" الوراثية على حد تعبير "كادغام" وبذلك فقد شخص العمل اليشلاري مفهوما عن الممارسة الابستيمولوجية حيث ارتبطت فيها عضويا بتاريخ العلوم وتم بمقتى تفكير العلاقات بين العلم والتاريخ العلم بشكل خاص.

من الملاحظ أن هناك هوة سحيقة بين نظرية المعرفة التقليدية وبين الاستيمولوجية المعاصرة ونظرية المعرفة العلمية فالأولى ي من انتاج الفيلسوف أما الثانية هي من إنتاج أم كعلم أو الفيلسوف المتبع للنشاط العلمي فقد كانت الأول تنشد لحل مشكلة المعرفة بكل أبعادها وجوانبها المتخذة من المعرفة الحسية أو العقلية أو كلاهما معا[31]

فهناك لا يمكن أن نجد ترابط أو إتصال بين القديم والجديد فهما يشكلان عالمين من الأفكار كلاهما منهما غريب عن اخر فباشلار يرف أن يكون هناك استمرارية بين المعرفة الحسية الأمة ومن جانب ومن المعرفة العلمية من جانب آخر وكذلك ير أن يكون ثمة استمرارية بين الكر العلمي القديم والفكر اعلمي

[30] باشلار غاتسون، فكر جديد، تر: عادل العوا، تقديم جيلالي الياس لأنيس، سلسلة العلوم الإنسانية للنشر الثاني، سنة 1994، ص 22.
[31] وقيدي محمد، فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، مرجع سبق ذكره، ص 136.

المعاصر نأخذ مثلا عن ذاك فالكيمياء المعاصرة والفيزياء المعاصرة تختلف تمام عن الفيزياء قبل عصر أينشتاين فلم تعد الكيماء ولا الفيزياء تعتمدان عن التجربة المباشرة كما هو الشأن والفيزياء في الفرن التاسع عشر، فقد أدخل فيها الجانب الرياضي والتجريدي (العقلي) وهذا أنه دليل على القفزة التي وصل إليها العلم والعلوم عموما في عصرنا الراهن.

وقد حاول باشلار من خارج نطاق منهج بيكون التجريدي أن يبين لنا أنه لا لاستمرارية في تاريخ العلم ولا لاستمرارية في تاريخ الابيستيمولوجيا وهناك يتعرض باشلار كيف أن يكون منهج بيبكون التجريدي لم يعد صالحا للتطبيق على المعارف العلمية الراهنة؟ فقد كشف العلم المعاصر عن بطلانها وتهافتها ولذا لابد من التسليم بقطيعة حقيقة بين المعرفة الملموسة الحسية العامة وبين المعرفة العلمية.

فإذا كان باشلار قد تحدث عن القطيعة الابستيمولوجية بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة فإنه يبين أيضا قطيعة من نوه خر وهي قطيعة بين الفكر اعلمي والفكر الفلسفي في حد ذاته فهناك نظريات جديدة تحقق قفزة في مسار الفكر العلمي وتبدو بدون مثيل سابق لها ولهذا فلا يمكن فهمها كفكرة الاستمرار وتطوير اعلم السابق وقد رأى في نظرية الفكر العلمي المعاصر هذا هو الفكر العلمي الجديد.

والنظريات التي مثلت هذه اقفزات الثورية العلمية التي قامت على أساس الكر العلمي الجديد في نظر باشلار تمثلت في الهندسات اللاإقليدية في مجال الريايات والميكانيكا النسبية والميكانيكا اكونتا في العلوم الفيزيائية ومن هنا

نستخلص المظهر الثالث لقطيعة الابستيمولوجية تفي أولا قيام فكر علمي أكثر شمولا وثانيا مراجعة المفاهيم الأية وثانيا مراجعة المفاهيم الأساسية للعلم السابق وتفي أخيرا قيام فكر علمي أكثر تفتحا.

فالمظهر الأول حين تكون القطيعة الابستيمولوجية مع كل فرية ونظرية تلعن عن قام فكر علمي أكثر شمولا فقطيعة هذه الحالة تفي انفصال عن الفكر العلمي السابق أو رف مطلقا ل بل تفي احتوى الفكر العلمي الجديد عائق عليه وبهذا تكون نظرية الفمر اعلمي المعاصر طيعة ابتيمولوجية فالهندسات الإليدية تعلن عن يام فكر علمي أكثر شمول لا يمكن فهمه انطلاقا من الهندسة اللاإقليدية، الذي كان سابقا له لأنه ليس تطورا له أو تدقيقا فيه هو ليس بالتالي استمرارية للعلم الجديد أو جز من العلم الجديد وكذلك الأمر بالنسبة للفيزياء كفكر علمي أكثر شموا.

إن هذه الطريقة تهدف إلى إثبات الفكر العلمي الساب أو الكلايكي وقوانينه بل تهدف إلى إبراز الحدود التي تكون فيها تلك القوانين صادة إلى وع وانين جديدة أكثر شمولا.

أما المظهر الثاني للايا الابستيمولوجية توم على مراجعة الفكر الكلاسيكي بما ففيه المبادئ الأولية فالهندسات اللاإليدية لا تقوم عى مصادرات جديدة فحسب بل على مراجعة مفهوم المكان والزمان فمفهوم المكان بالنسبة للهندسات اللإليدية ليس مكان مسطح ذو أبعاد ثلاث بل هو مكان محدود أو فراغ وليس بضرورة خط مستقيم وكذلك الأمر بالنبة للنظرية النسبية التي توم بمراجعة المفاهيم الأساسية للعلم الكلاسيكي فاللنظرية النسبية توم بمراجعة المفهوم

الأساسي لفكرتي الزمان والمكان لتبين أن النظر إيه لا يلائم حقيقة الوائع كما ترجع أن مقاييس الموعية للأشياء إلا أن هذه المراجعة لا تعتمد على التجريب حيث تثبت الحقائق بالتجربة لنثبت مشروعية الفكرة، والقول أن هذا المطلق لا يطابق حقيقة الوقائع حيث يول باشلار: " تحدثنا النظرية النسبية كي تستخدمون فكرتكم البسيطة كي تثبتون لأنفكم التأني؟ كيف توصلتم إلى المعرفة؟ كيف تخترعون أن تتوصلون إليه؟ وباختصار كيف تصفون مفهومكم ضمن الأحكام التجريبية، تضمنون بها هذا المفهوم، وذلك لأن تمن المفاهيم في الحكم هو معنى التجربة ذاتها؟

فالقطيعة الابستيمولوجية الباشلارية مراجعة للمفاهيم العلمية ولكنها لا تعني الانفصال عنها بل تعني الانتقال جدليا من المفاهيم إلى مفاهيم أشمل عنها هذا لا يعني ترك تلك المفاهيم بصفة مطلقة ولكن تتمن عن طريق مراجعتها وإعادة النظر فيها وهذه المراجعة لا تتم بصورة تجريبية تسمح لنا> بالنظر علىى أي مفهوم وبأي مفهوم للقطيعة الابتيمولوجية فتعني الانتقال على كر علمي جديد أكثر تفتحا هذا ينطبق على الفلسفات اللاإقليدية فالحكم على الأنساق الفلسفية الثلاثة لا ينبغي أن يكون مجردا حسب لأن الأمر لا يتعلق بصورتين أو بواقعين بل يتعلق في نظر باشلار بفكرتين محددتين وبنضامين مختلفين وبمنهجين مختلفين للبحث فد كان البحث العلمي في الهندسة الكلاسيكية أمام نسق واحد للعقلانية ولكنه أصبح بفضل قيامها إزاء الأنساق الثلاث للعقلانية فقد كان الفكر العلمي في الهندسة بل قيام الهندسات اللاإقليدية تمام نسق واحد لعقلانية ولكن أصبح بفضل قيامها أمام أنساق الثلاثة للعقلانية.

فقد كان الفكر العلمي ي الهندسة اللإقليدية أمام نسق واحد للعقلانية ولكنه أصبح بفضل قيامها أمام أنساق ثلاث للعقلانية وفي هذا المجال تبدي نظرية "بواكاري" أن الهندسة الإقليدية هي الأكثر ملائمة والسؤال الذي يمكن أن يوجه إلى نظرية بواكاري في نظر باشلار هو: بأي معنى تتحدث هذه النظرية عن التجربة حيث تقرر أن الهندسة اللاإقليدية هي أكثر ملائمة لتجاربنا عن ما تسببه التجربة المشار إليها؟.

الفصل الثالث
الإشكاليات الابستيمولوجية في العلوم الإنسانية

سادت في النصف الأول من القرن 19 نزعة وضعية أقصت من اهتمامها بشكل معلن دراسة مواضيع الميتافيزيقيا، وركزت على دراسة الطبيعة، بغية السيطرة عليها، وقد تغذت هذه النزعة من النزعة العلموية scientisme التي عرفتها الأوساط العلمية أواخر القرن الثامن عشر، وحملت الكثير من العلماء والفلاسفة على الاعتقاد بأن العلم قاد=ر على تفسير الظواهر باختلاف أنواعها، أي ما تعلق منها بالطبيعة أو الإنسان، وقد كانت هذه الثقة العمياء في العلم وراء وضع "أوغيست كونت Auèguste comte" لعلم جديد يدرس الظاهرة الاجتماعية أطلق عليها اسم الفيزياء الاجتماعية، وكأنه يبحث عن كيفية حدوث الظواهر الاجتماعية بنفس الطريقة التي يدرس بها ظواهر الطبيعة، فهل ستنجح هذه المماثلة بين الطبيعي والإنساني في تأسيس معرفة علمية بالإنسان؟ لقد تجاهلت كل النزعات الوضعية في تناولها للظاهرة الإنسانية على غرار الظواهر الطبيعية خصوصية الإنسان، الذي لا يضع لمقولات الضرورة والحتمية كما الظواهر الفيزيائية، مغفلة بذلك حرية الإنسان وجوانبه اللاواعية، لتصبح هذه الأخيرة خارج دائرة العلم، ألن يفيد ذلك أن الظاهرة الإنسانية خارج العلم بدورها[32]؟ أم أ،ها تحتاج لعلم خاص نظرا لخصوصيتها؟ ما علاقة الذات بالموضوع حين يتعلق الأمر بمعرفة الإنسان؟ وإذا كان التاريخ كعلم إنساني يثير جملة من الإشكاليات المتصلة بالمنهج وبالموضوع، كما سلف التعرف على ذلك، فهل ستثير العلوم الإنسانية نفس الإشكاليات؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، لزم التساؤل عن إمكانية قيام علوم تدرس الإنسان، وتجيب عن أسئلة أساسية متصلة بالمصير والوجود، وبصغة أخرى، هل يمكن لهذه العلوم أن تكون

[32]- مدخل في الفلسفة العامة، د. محمد شطوطي، دار طليطلة، ص 57.

موضوعية؟ كيف تنفصل عن الذاتية وهي بحث في الذات وعنها، فردية كانت أو جماعية، في حاضرها أو ماضيها؟ وما هي المناهج المعتمدة في علوم من هذا القبيل؟ هل تحاول تفسير الظواهر قيد الدراسة، أم فهمها ووصفها؟ وما علاقة العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية؟ أهي علاقة ترابط واتصال أم قطيعة وتجاوز[1].

[1]- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي 1)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط8، ص 103.

المبحث الأول: الموضوعية والظاهرة الإنسانية

ليست الظاهرة الإنسانية شيئا كالأشياء المادية الخارجية، إنها ظاهرة ترتبط بصميم الإنسان وكيانه ووجوده، ولذلك فإنها لا تسلم من الأحكام القيمية أو المعيارية، إلا أن الإنسان يرنو إلى فهم طبيعته قصد توجيهها نحو ما يحقق له المزيد من الكمال، ومن ثمة فعليه التجرد من الذاتية لتحقيق رؤية واضحة لهذه الطبيعة، والواقع أن معرفة الإنسان لذاته قطعت أشواطا وأحرزت تقدما ملحوظا منذ النصف الأخير من القرن 19 وبدايات القرن المنصرم، وليس السبب في ذلك سوى درجة الموضوعية التي باتت ممكنة في العلوم الإنسانية، ولا أدل على ذلك مما يقدمه علم النفس من معرفة حول نفسية الطفل وشرائط التعلم والذاكرة والإدراك...وكذلك علم الاجتماع الذي أصبح قادرا على تحديد الصيغ الاجتماعية المتدخلة في نمو الشخصية أو إعاقته، وتحديد المجتمعات المتوازنة وغير المتوازنة، هذا يعني أنه بالإمكان معرفة الحوادث المرتبطة بالإنسان معرفة علمية موضوعية ودقيقة، وإذا كانت كذلك فإنها ستكون قابلة للملاحظة على غرار الحوادث المرتبطة بالطبيعة، لكن الظواهر الإنسانية موضوع لا كموضوعات الطبيعة الخارجية، حيث الحوادث معزولة ومنفصلة عن الذات، ما يمنح درجات من الموضوعية والدقة أثناء دراستها، بل أنها موضوع مرتبط بالذات، فكيف ستكون دراسة الذات موضوعية، ولماذا يطرح سؤال الموضوعية كلما تعلق الأمر بمعرفة ما هو إنساني؟ وهل يطرح نفس الإشكال كلما تحدثنا عن الذات[1]؟

[1]- علم الاجتماع بين الالزام والأدانية، عبد الرزاق جلالي مجلة المجتمع، وحدة البحوث والدراسات في علم الإنسان، المعهد الوطني للتعليم العالي، العدد1، 1990، ص 44.

ظهرت النزعة الوضعية مع "كونت" لتؤكد إمكانية دراسة الظواهر الإنسانية دراسة علمية موضوعية، حيث أثارت الأوضاع الاجتماعية المتدهورة انتباه مؤسس الوضعية، ما دفعه إلى محاولة تفسير الظواهر الاجتماعية علميا، أي اعتمادا على العلم بعيدا عن الميتافيزيقيا أو الاهوت، وأطلق على العلم الذي يدرس تلك الظواهر اسم الفيزياء الاجتماعية، وتحمل هذه التسمية إشارة إلى الثقة في العلم القادر على بلوغ الموضوعية، سواء تعلق الأمر بالطبيعة أو بالإنسان، فكما تدرس الفيزياء الاجتماعية الجسم الاجتماعي، يسفر هذا التصور القول بضرورة التعامل مع الظواهر الإنسانية كأشياء مادية، وذلك ما أكده عالم الاجتماع الفرنسي "اميلدور كايم" الذي يعتبر التخلص من الأحكام المسبقة والقيم التي تؤطر الظواهر موضوع الدراسة، إذ لتحقق الموضوعية في علم الاجتماع، لابد من الانفصال عن الذاتية حتى يكون فهمنا وتفسيرنا للظواهر الإنسانية موضوعيا وعلميا.

وخلافا لهذا التصور يذهب عالم النفس الفرنسي "جون بياجي Jean Piaget" 1880-1896 إلى أن الموضوعية لا تنفصل عن الذاتية في العلوم الإنسانية، وهذه الخصوصية الابستيمولوجية تجعل من بلوغ الموضوعية أمرا صعبا، وتستمد هذه الصعوبة تبريرها من كون الذات هي الموضوع في الآن نفسه، لا يمكن الانفصال كليا أو جزئيا عنها لدراستها[1].

فدراسة الظاهرة الإنسانية محكومة بشكل، أو بآخر بالتأثيرات الفلسفية والإيديولوجية للباحث، وإذا كان وقع هذه التأثيرات أقل في العلوم الطبيعية

[1]- فليو أسماء زهيرة، قراءة في جهاز المفاهيم عند غاستون باشلار- شهادة ليسانس، مذكرة التخرج كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2008/2007، ص 45.

التجريبية فإنه يظل قويا في العلوم الإنسانية، ذلك أن الذات جزء لا يتجزأ من الظاهرة الملاحظة، التي عليها أن تلاحظها من الخارج، والتي تبدو الفواصل فيها بين الخارجي والداخلي واهية، وبين الذاتي والموضوعي أقل وضوحا وتميزا إضافة إلى محاولة الأنا في الملاحظ في تجاربه على ذاته وغيره، الانخراط في الوقائع اجتماعية كانت أو نفسية أو تاريخية، وكذا لإضفاء قيم ذاتية عليها، ما يؤدي إلى تجاهل الضرورات المنهجية والتقنيات الموضوعية في دراسة الظاهرة، هناك صعوبة إذا في تحقيق موضوعية العلوم الإنسانية حسب "بياجي" نظرا للعلاقة التداخلية بين الذات والموضوع في هذه العلوم خلافا للعلوم الحقة، ويذهب في نفس الاتجاه عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر "فرنسوا بستيان Francois Bastian" الذي بين صعوبة انفصال الذات عن الموضوع الذي يقوم بدراسته، وإذا كان انفصال الذات وعزلها عن موضوع بحثها لأنها منخرطة ومشاركة فيه بشكل ضروري، بمعنى أن نتناوله الظاهرة لن يسلم من الذاتية، التي تدفع الباحث إلى خوض صراعات معلنة أو مضمرة تحركها للمعتقدات والمثل والقيم، وهي عناصر غير ضرورية في دراسة الظواهر الفيزيائية، فالبحث في الذرة مثلا لا يحتاج إلى معتقدا أو قيمة، حين يصبح فهم المجتمعات الإنسانية رهينا بمدى انخراط الباحث في موضوع البحث وتجاربه، فردية كانت أو جماعية، لذلك نجد "فرانسوا بستيان" ينتقد دعاة الموضوعية المؤسسة على فصل الذات عن الموضوع، الذين جعلوا من مبدأ الحياد القيمي معيارا وشرطا لبلوغ العلمية والموضوعية في دراسة الظواهر الاجتماعية، ومفاد الحياد القيمي، عدم إقحام قيم الباحث من معتقدات وأخلاق،

في تحديد الموضوع والحكم عليه، أي التمييز بين أحكام قيمة كونية وشمولية، وأخرى جزئية تتعلق بذات الباحث فقط[1].

يحيل الحديث عن موضوعية العلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع، وما يطرحه من صعوبة متصلة بالموضوعية إلى المعرفة العلمية والمعرفة التاريخية، فإذا كانت الأولى تجد سندا لموضوعيتها في العودة إلى الواقع وتأمله عقليا، فإن العلوم الإنسانية لا تخضع لنفس المقياس، لتتمثل موضوعية هذه الأخيرة أساسا في التداخل بين الذات والموضوع، وإذا كانت صعوبة تحقيق الموضوعية في هذه الأخيرة أمرا واقعا، حيث أن دراسة الحياة النفسية للإنسان مثلا تحتاج لملاحظة تمتد سنوات نموه من طفولته إلى شبابه...دون إغفال أن الظواهر الإنسانية متغيرة ومختلفة، فلا يمكن لعالم الاجتماع على سبيل المثال وضع قواعد تنطبق على كل المجتمعات، هناك صعوبات ليفهم الباحث ذاته وغيره، فما طبيعة هذه الصعوبات؟ هل تتوقف وظيفة العلوم الإنسانية على فهم الظواهر؟ وهل هذا الفهم للتفسير أم للتأويل؟ وكيف يمكن للمناهج المعتمدة في هذه العلوم التنبؤ بوقائع اجتماعية أو نفسية....؟

[1]- جورج طرابلسي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة شروق، ط3، 2006، ص 26.

المبحث الثاني: وظيفة العلوم الإنسانية

تطمح العلوم الإنسانية إلى تطبيق المنهج العلمي، باكتشاف القوانين وصياغتها صياغة رياضية، ما يطرح إشكاليات إيبستمولوجية أفرزت العديد من المدارس والمناهج إلى درجة أصبحت فيها هذه العلوم كثيرة المناهج قليلة النتائج، ويظهر الاختلاف بين النزعات العلمية في مختلف فروع العلوم الإنسانية، حيث نجد في ميدان الأنتربولوجيا مثلا، تقابلا بين النزعة التطورية والنزعة الوظيفية الأولى تدرس حضارة الشعوب البدائية وثقافتها محاولة ربطها بحضارة الشعوب المتقدمة وثقافتها معتبرة هذه الأخيرة مرحلة عليا في سلم تطور الحضارة البشرية، في حين حصرت الثانية اهتمالمها في دراسة عناصر الحضارات والثقافات البدائية، وبيان وظيفة كل عنصر منهات داخل الكل، دون الدخول في متاهات مقارنة بين الشعوب البدائية والمتحضرة، حيث أن هذه النزع_ة تدرس الشعوب البدائية كما هي في الواقع، فلا تعنى بما قبل وما بعد، بل تدرس ما هو موجود، لتوضيح وظيفة كل ظاهرة فقي إطار مجموع الظواهر المشكلة لهذه الحضارة البدائية أو تلك، وسواء تعلق الأمر بالنزعة التطورية أو الوظيفية، فإنهما يهدفان معا إلى فهم وتفسير الظواهر الإنسانية، فهل تقف العلوم الإنسانية بنزعاتها المختلفة عند الفهم والتفسير؟ وإلى أي حد يمكن أن يكون هذا التفسير علميا، خاصة وأن الوضع الإيبستمولوجي للعلوم الإنسانية، وضع يتعارض فيه الجانب الستاتيكي (الساكن–الثابت) بالجانب

الديناميكي (الحركي–الحيوي) والبسيط بالمركب، والجانب التاريخي بالجانب الوظيفي، والموضوعي بالذاتي[1].

قامت النزعة البنيوية كمحاولة للتغلب على هذه الصعوبات، وكطموح إلى تطبيق المنهج العلمي في العلوم الإنسانية، واكتشاف قوانين الظاهرة الإنسانية وصياغتها رياضيا كما هو الشأن في العلوم الحقة (الطبيعيات–الرياضيات...)، وقد برزت معالم هذا الطموح في دراسات العالم السويسري "فرناندو دو سوسير Fernando de saussure" (1919 ت)، فالبنيوية لا تريد دراسة الأجزاء في تطورها نحو الكل، أو من البسيط إلى المركب، ولا تضع الكل كأوليات ومقدمات قبلية، وإنما تهتم بدراسة البنيات structure ومن هنا جاءت تسمية هذه النزعة البنيوية structralisme ذلك أن "دو سوسير" في دراسته للغة لم يبحث عن تاريخها أو تطورها أو وظيفتها، بل بحث في نسق العلاقات أي البنية اللغوية، على اعتبار أن البنية كل منظم من علاقات متزامنة، يستمد منها كل جزء من أجزاء هذا الكل قيمته وأهميته، واللغة نسق يجب أن ينظر إلى أجزائه من خلال العلاقات الترابطية القائمة بينها بشكل تزامني، لقد سعت هذه النزعة إلى بناء منهج أصيل ملائم لخصوصية الظواهر الإنسانية، حيث لا يتحرك الباحث في عالم مادي، بل في عالم رمزي إنساني وقد تبلورت منهجية خاصة للبحث في الظاهرة الإنسانية بداية بالدراسات اللسانية المعاصرة مع دو سوسير وصوولا إلى الدراسات الأنتروبولوجية Anthropologie مع "كلودلفي–ستراوس) الذي جعل من التحليل البنيوي أسلوبا جديدا لتحقيق أكبر قدر من الدقة والموضوعية مستوحيا ذلك من الفيزياء والرياضيات المعاصرة فهل

[1]- جورج طرابلسي، معجم الفلاسفة، المرجع نفسه، ص 27.

ستكون وظيفة الأنتروبولوجيا كوظيفة الفيزياء التي تفسر الظاهرة وتتنبأ بحدوثها؟

يعترف "كلودليفي–ستراوس" Claude lévi-strauss" أن جل التانبؤات في العلوم الإنسانية كانت خاطئة، وإن كانت لهذه العلوم القدرة على تفسير الظواهر الإنسانية، ما يجعلها علوما متأرجحة بين التفسير والتنبؤ، شأنها شأن بعض العلوم الطبيعية التي قد تفسر ظواهر لم تتنبأ بها، أو تنبأ بها دون تفسيرها (علم الأرصاد الجوية)، إن تقديم أسباب تحدد نشأة الظواهر وتطورها، وافتراض حدوث ظاهرة معينة اعتمادا على قانون السببية، طبيعة كانت أو إنسانمية محكوم بالتجريب والتصحيح، كذلك كانت علمية العلوم الإنسانية وموضوعيتها رهينة بمدى قدرتها على التوفيق بين عمليتي التفسير والتنبؤ من جهة، وربط التفسير بالفهم من جهة أخرى، دون الوقوف عند تفسيرات نهائية وتنبؤات يقينية، مقدمة لنا مزجا بين المعرفة الخالصة والمعرفة النافعة، كما يذهب إلى ذلك "ستراوس" إنها علوم تتأرجح بين ىالتفسير والتنبؤ ما يجعلها منفتحة.

في مقابل هذا التصور البنيوي، يعتقد ويليام دلتاي W. Dilthey أن المنهج التجريبي والاقتداء بالعلوم الحقة في دراسة الظواهر الإنسانية، لن يمكن العلوم الإنسانية من المضي قدما، ذلك أنها تحتاج منهجا تستمده من خصوصية مواضيعها الروحية، فعلم النفس التجريبي إذ يربط الظاهرة النفسية بالظاهرة الفيزيولوجية، يغفل الجانب الروحي للإنسان، لتصبح الظواهر المتعلقة به كالظواهر الطبيعية، والحال أن التعامل مع الظواهر الإنسانية لا يقبل هذا

التطبيق للمنهج التجريبي، لذلك يجب عليها أن تكيف المفاهيم المستخدم في علم المناهج بشكل أكثر عمومية، ما يسمح بتطبيقها علىلا الظواهر الإنسانية، لأن الإنسان كائن حي له عقل يمكنه من إنتاج المعاني، وله تجربته الداخلية، المتمثلة في وعيه بذاته وبالعالم الذي هو بمثابة كل له معنى وقصد، ومن ثمة تكون وظيفة العلوم الإنسانية منهج تفهمي –تأويلي– حسب "دلتاي"، مختلف عن المنهج التجريبي الذي يفسر ويتنبأ بالظواهر الطبيعية.

نستخلص من هذه الصعوبات الموضوعية والمنهجية للعلوم الإنسانية، أن البحث في هذه الأخيرة لا زال مستمرا وسيظل كذلك، دون إنكار التطورات التي تشهدها فروعها المختلفة والتي تجد سندا لها كذلك في التطور التقني الذي منح أجهزة وآلات، تكشف عن حقائق تتعلق بالسلوك الإنساني[1].

[1]- بدوي عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، ص 70.

المبحث الثالث: نموذجية العلوم التجريبية

تختلف الموضوعية في العلوم الإنسانية عنها في العلوم التجريبية، لأن الأولى لا تنفصل عن الذاتية والأحكام القيمية كما سلف الذكر، أما الثانية فتتوافق إلى حد كبير في عزل الظواهر المدروسة، وإخضاعها للتجربة فهل يعني ذلك وجود قطيعة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية؟ وهل بالإمكان لإخضاع الظاهرة الإنسانية للتجربة؟ وإلى أي حد يمكننا ذلك من صياغة قوانين لها على غرار قوانين الظاهرة الطبيعية؟

إذا كان القرن السابع عشر قرن الفيزياء والكيمياء، فإن القرن التاسع عشر قرن التأسيس العلمي للبيولوجيا والعلوم الإنسانية، وقد بينا فيما سبق كيف أسهم المنهج التجريبي في تقدمك الفيزياء مع "غاليلي" وتطور البيولوجيا مع "كلود بيرنارد"، حيث تظهر إشكاليات هذا المنهج حين يدرس العضوية الحية إذ عليه التضحية بالجانب الحيوي لممارسة الملاحظة، وكذلك في العلوم الأخرى، اعترضت الدارسين صعوبات منهجية، وإذا كانت هذه الصعوبات حاضرة في العلوم الطبيعية، فإنها أكثر حضورا في العلوم الإنسانية، نظرا لما تتميز به الظواهر الإنسانية من خصائص، إنها متغيرة باستمرار ما يجعلها نسبية، حيث تختلف باختلاف العصور والثقافات والأشخاص، وهي ظاهرة واعية فيها الشيء الكثير من العواطف والأهواء والميولات والأفكار، أي أن الوعي البشري عنصر يتدخل ويؤثر فيها، إلى أنها ظاهرة مضمرة لا تعطى بمجرد الملاحظة، كما أن الظواهر الإنسانية كموضوع لا تنفصل عن ذاتية الدارس، نظرا لصعوبة

التخلص من القيم والتصورات الخاصة به إلا أن المنهج التجريبي قد أبان عن عن فعاليته في مجالات كثيرة كالطب النفسي والدراسات المرتبطة بالانحراف والشذوذ والحروب والظواهر الاقتصادية، وهي ظواهر إنسانية، ومن ثمة يكون تطبيق هذا المنهج ممكنا لدراسة تلك الظواهر، وذلك ما تؤكده الأنتروبولوجيا المعاصرة مع الفرنسيين Ph. Laburthe Tola وp. Warhier حين تضع شروطا لعلمية العلوم الإنسانية على غرار العلوم الطبيعية، وإن كانت الظواهر موضوع الدراسة في الأولى أكثر غنى وأقل انتظاما منها في الثانية، التي تكون التجربة فيها مقياسا حاسما لعمليتها، وإذا كان التجريب قاصرا على لعب نفس الدور في العلوم الإنسانية، فإن هذه الأخيرة تبلغ العلمية بانفتاح الذات على الغير وتقبلا للاختلاف، وقدرتها على استيعاب التناقض، وعلى مواجهة الأشياء الغربية البعيدة عن التلقائية، لأن الملاحظ لظاهرة إنسانية ما طرف فيها وحكم في الآن ذاته' فالعلمية رهينة بتجاوز ونسيان المصلحة الذاتية للباحث، ويجب أن يكون هذا التجاوز هذفا لكل بحث حول الإنسان، إضافة إلى الانفتاح والتجاوز يكون للباحث وعي بتفاعله وانخراطه في موضوعاته، أي أن حضور الذاتية في الدراسات الإنسانية شرط أساس من شروط علميتها، ما دامت العلوم الفيزيائية المعاصرة ذاتها تعترف بعامل تدخل الذاتية، وعليه لا توجد قطيعة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية أو التجريبية فكلاهنا يحتاج إلى عناصر ذاتية كحاجته إلى العناصر الواقعية التجريبية ويذهب الفيلسوف المعاصر "ميرلو بوني M. Merleau-Ponty" إلى أبعد من ذلك حين اعتبر الذات مصدرا لكل المعارف العلمية، يتعلق منها بالطبيعة أو بالإنسان، ومن ثمة فإن التجربة التي اتخذها.

خاتمة

إن المسائل التي ذكرت، والتي تعالجها الابستيمولوجية، تجعل القول صحيحا بأن هناك ابستيمولوجية عامة، موضوعها العلم من دون تمييز العلوم الطبيعية من العلوم الإنسانية.

واستنادا إلى ذلك، فإن الابستيمولوجية مع كونه مبحثا حاز على استقلاله النسبي في السنوات الأخيرة،لا تظل مبحثا فلسفيا، خاصة لأنها تسعى إلى صوغ نظرية عامة في المعرفة العلمية، ولا أدل على ذلك من محاولة جان بياجيه إشادة نظرية في التكوين النفسي للعلم.

ومما يؤكـــد انتمـــاء الابستيمولوجية إلى الفلسفة، تحولها إلى علم معاياري، وهي تعالج مسائل العلم. لأن السؤال الأساسي الذي يكون خلف معالجتها هو: ماذا يجب أن يكون عليه العلم؟.

غير أن الابستيمولوجية العامة لا تنفي وجود مشكلات ابستيمولوجية لزمرة من العلوم أو لعلم جزئي، ومن ثم فإن هناك ابستيمولوجية خاصة وابستيمولوجية جزئية، إلى جانب الابستيمولوجية العامة.

فابستيمولوجية العلوم الطبيعية، تتسائل: ما طبيعة القانون في هذه العلوم؟ ما دور مقولات الحتمية والمصادفة والاحتمال والغائية؟.

كما أن هناك مشكلات خاصة بالعلوم الإنسانية، كالموضوعية والفهم والتفسير والجانب الأيديولوجي لأحكامها، والعلاقة بين المنطقي والتاريخي في المعرفة الإنسانية، وإمكانية قيامك نظرية اجتماعية، وهل هناك ملامح قانونية عامة في السيرورة الاجتماعية أنم أن الواقعة الاجتماعية واقعة فذة؟.

إن هذه المشكلات وغيرها هي موضع الابستيمولوجية الخاصة بالعلوم الإنسانية، لكن الجزئية تواجه هي الأخرى مشكلات خاصـــة بها، بسبب استقلالها النسبي.

كما أن الثورة الايبستيمية التي أحدثها باشلار في مجال تقدم العلوم وفي ميدان الفلسفة بعلم أفكاره محللة لكل المفاهيم ناقصة لكل التصورات، وأصبح عصره عصرا حافلا بالثورات العلمية وبالخصوص ثورة العلم والفلسفة، وحاولا إعطاء عصرا للفلسفة بمفاهيم جديدة كل الجدة ونتلو منها القطيع، العائق، الجدل ... إلخ، لذا المشروع البشلاري جلا بهذه المفاهيم في دراسته لتاريخ العلم.

وكانت النظرة الايبستيمولوجية لتطور العلوم الإنسانية على حد سواء، وحول تاريخ العلم من عالم ممكن إلى عالم واقع، فتاريخ العلم هو تاريخ الأزمات والأخطاء لقيام علم جديد حفلت به الفلسفة واعتنقته كل العلوم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع

- **الكتـــــــب:**

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **في فلسفة العلوم**، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر- القاهرة – ط1، 1999.

2- **القاموس الجديد، معجم عربي الفاني**، علي بن هادية بلحسن البليش الجيلالي بن الحاج، تقديم محمود المسعودي، الشركة التربية للتوزيع تونس، المؤسسة الجزائرية الوطنية للكتاب – سنة 1984- ط5.

3- أوغست كونت، فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية 1798-1858.

4- باشلادر غاستو، **فكر جديد، ترجمة عادل العوا**، تقديم جيلالي يابس للأنيس، سلسلة العلوم الإنسانية للنشر الثاني ، سنة 1994.

5- بدوي عبد الرحمن، **الموسوعة الفلسفية**، ط 1، 1984 المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت.

6- بدوي عبد الفتاح محمد، **فلسفة العلوم**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة د س ط.

7- جورج طرابلسي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة شروق – ط3،2006.

8- شعبان حسن السيد، برونشيفيك وباشلار، **بين الفلسفة والعلم (دراسة نقدية ومقارنة)** دار التنوير للطباعة والنشر .بيروت- ط 1993

9- صليبيا جميل، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني بيروت سنة 1982، الجزء الأول

10- غاستون باشلار، **العقلانية التطبيقية**، بسام الهاشم دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، العراق ط2.

11- فليو أسمـــاء زهيـــرة، **قـــراءة في جهـــاز المفاهيـــم عند غاستـــون باشلار**، شهـــادة ليســـانس، مذكرة التخرج كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم الفلسفة جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس 2008/2007.

12- فيلو أسماء زهيرة، **قراءة في جهاز المفاهيم عتد غاستتون باشلار**، شهادة ليسانس، مذكرة التخرج كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس سنة 2007-2008.

13- قصة الفلسفة من أفلطون إلى جون ديوي، **حياة وأراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم تأليف ويل ديورانت**، ترجمة الدكتور فتح الله محمد بن شعشعط2 1972 مكتبة المعارف، بيروت.

14- محمد عابدي الجابري، **تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي1)**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت ط8.

15- د/ محمد شطوطي، **مدخل إلى الفلسفة العامة**، دار طليطلة.

16- د/ عمار طالبي، **مدخل إلى الفلسفة العامة**، دار القصبة للنشر.

17- مهيبل عمر، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصر، دار العربية للعلوم بيروت، ط1 سنة 2005.

18- هشام محمد، **تكوين مفهوم الممارسة الإبستيمولوجية عند غاستون باشلار**، إفريقيا المشرق ، دار البيضاء – ط1 سنة 2006.

19- وقيدي محمد، **فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

- **القواميـــــس:**

20- **منجد الطلاب**، دار المشرق ، بيروت – ط2 – سنة 1986.

الفهرس

الفهرس

- الإهـــــداء
- كلمـــة شكـــر
- مقدمـــــة

الفصل الأول:

مدخـــــل مفاهيـــــمي

مفهوم الفلسفة 4

مفهوم العلم 7

فلسفة العلوم 7

تاريخ العلم 9

ضبط مفهوم الابستيمولوجيا 10

مفهوم العائق..... 11

ضبط مفهوم القطيعة 12

العلوم الإنسانية 12

الميتافيزيقا 13

ضبط مقهوم الجدل 14

الفصل الثاني:

النظرة الابستيمية للعلوم الإنسانية (غاستون باشلار)

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن حياة الفيلسوف"غاستون باشلار".....16

أ- بيئة شخصية"غاستونباشلار" 16

ب- مؤلفاته..... .17

المبحث الثاني: العائق الإبستيمولوجي بالمنظور الباشلاري.....20

المبحث الثالث: بين الفكر الفلسفي والفكر العلم.....24

الفصل الثالث:

الإشكاليات الابستيمولوجية في العلوم الإنسانية

المبحث الأول: الموضوعية والظاهرة الإنسانية 34

المبحث الثاني: وظيفة العلوم الإنسانية..... 36

المبحث الثالث: نموذجية العلوم التجريبية..... 39

خاتمة.....96

قائمة المراجع والمصادر.....99

الفهرس.....107